

اي قيادة. ويمثل ذلك الحد الأدنى بالدولة الفلسطينية، مما يفسر رفض مشروع ريغان او قرار الامم المتحدة الرقم ٢٤٢.

٣ - ان القيادات الفلسطينية الاخرى (ويمكن القول ايضا القيادات العربية) توصلت، في نهاية المطاف، الى قناعة اساسية تتلخص باستحالة تحقق التغيرات داخل الحركة الفلسطينية العريضة الا عبر التأثير على تصرفات قادة «فتح» من داخل تنظيمهم.

ثم تقدم كوبان موجزاً عن أهم المعالم في قيام حركة «فتح» وانشاء منظمة التحرير الفلسطينية، مضيعة نبذة عن حياة مؤسسي «فتح» وعن تطور نظرتهم الى واقع شعبيهم والظروف الناجمة والمقبولة لبدء تقرير المصير. هذا الموجز ليس سوى تقديم للقصة التفصيلية التي ترويها المؤلفة في الجزء الاول من الكتاب. ففي الفصل الثاني، يبدأ حيك الخيوط، حيث تستعرض كوبان بدايات «فتح»، وأساليب التنظيم وعناصر الفكر السياسي الاول خلال مرحلة السرية الاولى في الخمسينات والنصف الاول من عقد الستينات. ولعل هذا الفصل هو الافضل في الكتاب كله، اذ يمثل المحاوره الاولى والانجح لسرد وتحليل عناصر تلك الفترة التأسيسية الخصبة. فقد ظهرت عدة كتابات تروي السير الشخصية لبعض القادة، او ترسم الاتجاهات والهموم الاساسية عند بناء التنظيم السري وإقرار اتجاهات العمل. لكن ايا من هذه الروايات لم يتناول العناصر كافة، ليربطها ببعضها البعض وليحلل مغزى المقولات المتباينة التي طرحت، آنذاك، حول تبني استراتيجية الكفاح المسلح.

تقف عشرون سنة بيننا اليوم وبين انطلاقة «فتح» العلنية الاولى في ١/١/١٩٦٥. وربما لا يقدر الكثيرون، الآن، مدى تعقيد الظروف ومدى صعوبة تحقيق الرؤية الواضحة واتخاذ القرار السليم في الفترة الممتدة بين انشاء خلية «فتح» الاولى وتنفيذ العملية العسكرية الاولى بعد عشر سنوات. ولعل البعض يعتقد، اليوم، ان قرار البدء بالكفاح المسلح كان سهلاً او منطقياً او حتمياً، أو انه، حتى، اتخذ بالاجماع. بل تستعيد كوبان الظروف العربية والفلسطينية التي احاطت بمؤسسي «فتح» وعرقلت مسيرتهم، وتنقل، بقوة، الصراع النفسي والفكري الداخلي الذي داهم المؤسسين قبل ان يجازفوا، في مواجهة كافة الموازين والتقدير، بالرهان على اسلوب الكفاح المسلح وشعار اولوية فلسطين.

ان كوبان، بقيامها باستعراض هذا التاريخ، تحقق غرضين: فهي تقدم نموذجاً معيناً لكتابة تاريخ حركة سياسية ما، حيث تظهر الرابط فيما بين العنصر الذاتي، اي دور الافراد وشخصية الافراد، وبين العنصر الموضوعي، اي مختلف الظروف والمعطيات والامكانيات التي يتعامل معها اولئك الافراد. وثانياً، فهي تبني اساساً لفهم التاريخ اللاحق لحركة المقاومة الفلسطينية، عبر شرح اساليب العمل والدوافع الفكرية والخصائص النفسية لمن صاروا قادة وكوادر المرحلة اللاحقة.

تخصص المؤلفة بقية الجزء الاول لدراسة تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية عموماً، مع ذكر خاص لموقف «فتح»، خلال فترة ١٩٦٧ - ١٩٨٣. لذلك، يعنى الفصل الثالث بمرحلة «شهر العسل» كما تعرف في الاوساط الفلسطينية، او «بهجة التحليق» كما تلقيها كوبان، والتي امتدت، بنظرها، من العام ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣. وتشمل هذه الحقبة التاريخية الهامة تجربة الاردن وعملية اعادة البناء في لبنان. كما تستعرض المؤلفة اندراج التنظيمات المسلحة داخل اطار م.ت.ف. في اواخر الستينات وتوليها لتلك المؤسسة، لتتبع، بعد ذلك، مرحلة «العمليات الخارجية» من ١٩٧١ - ١٩٧٣ التي دخلتها «فتح» عبر منظمة ايلول الاسود لتغطي اعادة بناء القوة الذاتية في اعقاب مغادرة الاردن، وصولاً الى اندلاع حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

لعل كوبان تبتعد، عند هذه النقطة، عن النظرة الشائعة التي تتطلع الى مرحلة ما بعد حرب ١٩٧٣ على انها مرحلة الانجاز الدبلوماسي والتغير السياسي نحو القبول باقل من كامل التراب الفلسطيني، اذ تنظر، في فصلها الرابع، الى فترة ١٩٧٣ - ١٩٧٦ على انها «الوقوع في شرك لبنان». فهي لا تتجاهل على الاطلاق حقيقة الاختراق الدبلوماسي الذي حققته م.ت.ف. واهميته، بل انها هي التي شددت، سابقاً، على بُعد الرؤية والجهود المضنية لقيادة «فتح» في اواخر الستينات واولئ السبعينات توقعا لمثل هذا الخرق بالتحديد. لكنها ترى ايضا شبكة العلاقات والموازن العربية التي عملت م.ت.ف. في وسطها، وترى كيف تحقق الانجاز وبأي ثمن، نظرا الى اشتداد الصعوبات واندلاع الحرب الاهلية اللبنانية في ١٩٧٥ - ١٩٧٦.

ويفسر شرح كوبان لبروز الاختلافات الحادة داخل الصف الفلسطيني وبين المحاور العربية بعد حرب ١٩٧٣، ازاء الموقف من فكرة واشكال التسوية السياسية المطروحة، يفسر ذلك اعتقادها ان الموازين اخذت تتكالب